ولأن "العلمانية واليسارية" لم تكونا بالعمق الذي يؤسس لمرحلة جديدة، وباستثناء بؤر وأوساط محدودة، هي أقرب للتسطيح لأننا "لبسنا قشرة الحضارة والروح جاهلية" قباني، بقي العقل والعلاقات الاجتماعية أقرب للبنية التقليدية وما يحمله الموروث، الأمر الذي عبرّ عن نفسه في تيار جارف ما أن تقهقرت القوى السياسية "الوطنية واليسارية" في مرحلة أوسلو لاحقاً.

"فالعلمانية واليسارية" والمعاصرة إجمالا كانت مقولات سياسية أكثر بكثير مما كانت منهجاً فكرياً ومقاربات علمية واجتماعية مناظرة.

ولئن نظمت المقاومة إرادة وروح الشعب في صراع مع العدو وأعادت ترتيب وصناعة السيكولوجية الاجتماعية والوعي الاجتماعي باتجاه مقاوم، حيث نبذ النضال الخوف والدونية والاستكانة وأحل محلها طاقة حالمة بالتحرر والفخر والتشبث بالأهداف والتضحية في سبيلها، فكانت منصة انطلاق نحو المستقبل، غير أن المنظور الفلسفي والرؤية والموقف الاجتماعي، ورغم احتضانه أوساطاً لما هو معاصر بقي ماضوياً، فالصفة التقليدية بقيت سائدة جذّرها وجعلها أكثر حضوراً وتحزيباً، ما طرأ على المسيرة من تقهقر سياسي وتحولات في النظام السياسي الفلسطيني.